

الاستاذ : مختار قندوز

الدرس الثالث : تحليل نص موجه لطلبة السنة الثانية (الافواج 13.12.09.08.07)

عيناكِ غابتا نخيلِ ساعة السحرِ ،

أو شُرقتان راح ينأى عنهما القمر .

عيناكِ حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهز

يرجّه المجذاف وهنأ ساعة السحر

كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم ...

وتغرقان في ضبابٍ من أسى شفيف

كالبحر سرح اليدين فوقه المساء ،

دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف ،

والموت ، والميلاد ، والظلام ، والضياء ؛

فتستفيق ملء روعي ، رعدة البكاء

ونشوة وحشية تعانق السماء

كنشوة الطفل إذا خاف من القمر !

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرة فطرة تذوب في المطر ...

وكركر الأطفال في عرائش الكروم ،

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

أنشودة المطر ...

مطر ...

مطر ...

مطر ...

تناءب المساء ، والغيوم ما تزال

تسح ما تسح من دموعها الثقال .

كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :

بأنّ أمّه – التي أفاق منذ عام

فلم يجدها ، ثمّ حين لجّ في السؤال

قالوا له : "بعد غدٍ تعودُ .. "

لا بدّ أن تعودُ

وإنّ تهامس الرفاق أنّها هناك

في جانب التلّ تنام نومة اللّحود

تسفّ من ترابها وتشرب المطر ؛

كأن صياداً حزيناً يجمع الشّبّاك

ويلعن المياه والقدر

وينثر الغناء حيث يأفل القمر .

مطر ..

مطر ..

أتعلمين أيّ حُزْنٍ يبعث المطر ؟

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر ؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع ؟

بلا انتهاء – كالدّم المراق ، كالجياع ،

كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى – هو المطر !

ومقلّتاك بي تطيفان مع المطر

وعبر أمواج الخليج تمسح البروق

سواحل العراق بالنجوم والمحار ،

كأنها تهَمّ بالشروق

فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارٌ .

أصيح بالخليج : " يا خليجُ

يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والرّدى ! "

فيرجعُ الصّدى

كأنّه النّشيجُ :

" يا خليج

يا واهب المحار والردى .. "

أكاد أسمع العراق يذخرُ الرعودُ

ويخزن البروق في السّهول والجبال ،

حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرّجالُ

لم تترك الرياح من ثمودُ

في الوادِ من أثرٍ .

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر

وأسمع القرى تننّ ، والمهاجرين

يصارعون بالمجاديف وبالقلوع ،

عواصف الخليج ، والرمود ، منشدين :

"مطر ...

مطر ...

مطر ...

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشّوان والحجر

رحى تدور في الحقول ... حولها بشر

مطر ...

مطر ...

مطر ...

وكم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموع

ثم اعتلّلنا - خوف أن نلام - بالمطر ...

مطر ...

مطر ...

ومنذ أن كنّا صغاراً ، كانت السماء

تغيّم في الشتاء

ويهطل المطر ،

وكلّ عام - حين يعشب الثرى - نجوع

ما مرّ عامٌ والعراق ليس فيه جوع .

مطر ...

مطر ...

مطر ...

في كل قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنة الزَّهر .

وكلّ دمةٍ من الجياح والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسائم في انتظار مبسم جديد

أو حلمة توردت على فم الوليد

في عالم الغد الفتى ، واهب الحياة !

مطر ...

مطر ...

مطر ...

سيُعشبُ العراق بالمطر ... "

أصبح بالخليج : " يا خليج ..

يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! "

فيرجع الصدى

كأنَّه النشيج :

" يا خليج

يا واهب المحار والردى . "

وينثر الخليج من هباته الكثار ،

على الرمال ، : رغوه الأجاج ، والمحار

وما تبقى من عظام بئس غريق

من المهاجرين ظلّ يشرب الردى

من لجة الخليج والقرار ،

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرّحيق

من زهرة يربُّها الفرات بالندى .

وأسمع الصدى

يرنّ في الخليج

"مطر ..

مطر ..

مطر ..

في كلّ قطرة من المطرُ

حمراء أو صفراء من أجِنَّة الزَّهَرِ .

وكلّ دمعة من الجياح والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيدُ

فهي ابتسائم في انتظار مبسمٍ جديد

أو حُلْمَةٌ تورّدت على فم الوليدُ

في عالم الغد الفتّي ، واهب الحياة . "

ويهطل المطرُ ..

بدر شاكر السياب شاعر عراقي يعد الرائد الحقيقي للمدرسة الحديثة في الشعر العربي، فرغم عمره القصير فقد ترك نتاجاً شعرياً ثرياً، استطاع – من خلاله - أن يرسى دائم هذه الحركة التجديدية في الشعر العربي ، وهي حركة (شعر التفعيلة)، ويترك تأثيراً واضحاً على أجيال من الشعراء في زمنه وبعده .

وبدر شكر السياب شاعر عراقي من جنوب العراق ، ولد سنة 1926 في قرية جيكور إحدى قرى قضاء أبي الخصيب الوداع على ضفاف شط العرب بمحافظة البصرة، وفيها أنهى دراسته الثانوية، ثم انتقل إلى بغداد طالباً في دار المعلمين العالية (كلية الآداب)، وحصل على بكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها ، وعُيّن معلماً في الرمادي. ولمواقفه السياسية المناهضة للحكم الملكي آنذاك فُصل من عمله ، وبقي يعاني شظف العيش ، ثم رحل إلى الكويت وعمل هناك ، لكن لم يطل به المقام إذ سرعان ما عاد إلى البصرة، وعمل موظفاً في أكثر من دائرة حكومية ، وظل يكتب في الصحف والمجلات ويترجم بعض الشعر الإنجليزي، حتى عام 1960 إذ أصيب بمرض عجز الأطباء عن معرفة كنهه ، رغم أنه أصبح نزيل المستشفيات في العراق ولبنان وبريطانية والكويت ، لكن الشلل سرى في جسده كله، حتى توفي في المستشفى الأميري في الكويت في 24 / 12 / 1964 .

ورغم عمره القصير(توفي عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين عاماً 38) فقد ترك لنا ثروة شعرية كبيرة وعميقة ، وهو يُعدّ فعلاً رائداً لمدرسة الشعر الحديث ، تأثر به الكثير من شعراء جيله وامتد تأثيره حتى اليوم فلا زال هناك في الكثير من شعر الشباب العراقيين والعرب نفساً سيايبياً .

اخرج العديد من الدواوين الشعرية وهي على التوالي (أزهار ذابلة 1947، أساطير 1950، أنشودة المطر 1960 ، المعبد الغريق 1962 ، منزل الأقفان 1963 . ما صدر بعد وفاته : شناسيل ابنة الجلي 1965، إقبال 1965) وله مجموعة من المقالات والترجمات ،

الشعر الحديث هو تجربة شعرية تحاول تطوير الشعر لغةً وأسلوباً ، وهي حركة انطلقت من العراق ، وكان للسياب دوره المحوري في تطوير هذه الحركة و إغنائها بنماذج شعرية متطورة مما جعل هذه الحركة تقف على رجلها بقوة وثبات وتواصل تطورها . فقد نظر شعراء المدرسة الحديثة إلى نظم الشعر بطريقة تختلف عن الشعر التقليدي، سواء في الأبيات الشعرية أو في التفاعيل الثابتة الكلاسيكية القديمة (الإيقاع الشعري) إضافة إلى لغته المتوقفة على النماذج القديمة، بينما الحركة اعتمدت طريقة الأسطر الشعرية، وعدم ثبات التفاعيل ، واللغة التي تعكس عمق ثقافة هذه الحركة .

يلعب المطر دوراً أساسياً في شعر السياب ، ويكاد يكون المحرك الرئيس في تجربته الشعرية ، على أنه يحمل إحياءاتٍ ورموزاً متعددة تتشكل وفق مراحل تطور السياب الشعري.

فقد غنى السياب للمطر كثيراً وردده في الكثير من قصائده ، والمطر عند القروي هو الخير والخصب ، هو الحياة ، وربما إحساس القروي بالمطر أكثر عمقا منه عند المدني . في قصيدة (أنشودة المطر) وهي من أكثر قصائد السياب غنىً ، فأطلقها عنواناً على مجموعته الشعرية (ديوان أنشودة المطر) الذي ضم أكثر قصائده التزاماً، إضافة إلى مطولاته الثلاث (المومس العمياء، حفار القبور، الأسلحة والأطفال) . وسوف نتناول قصيدة أنشودة المطر باعتبارها من أكثر قصائده عمقاً شكلاً ومضموناً ، ويأخذ المطر دوراً رئيساً في أفكار القصيدة وفنيتها (تقنياتها) .

(أنشودة المطر) نظمها الشاعر من وحي أيام الضياع في الكويت – كما يقول السياب نفسه- حين فصل من عمله وراح يبحث عن عمل في الكويت سنة 1954 .

* تبدأ القصيدة بمقدمة حزينة تتشكل من صور تعكس حنين الشاعر إلى وطنه وهو في الغربة :

(نأي القمر ، المجدف الواهن ، الضباب والأسى الشفيف، ارتعاشة الخريف ، رعشة البكاء) بل أن المفردات المعبرة عن الحزن والأسى تشيع في كل مقاطع القصيدة (النشيج، الجوع، الردى، الموتى . الخ

* ثم يأتي المطر ليعمق الإحساس بالحزن من جهة، وليعطي إيقاعاً في تكرار لفظة (مطر)

عشرين مرة في القصيدة تتساق مع هطول المطر،إنها فعلاً أنشودة المطر :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء . . كالأقمار في نهر
يرجّه المجدف وهناً ساعة السحر

* ويثير هطول المطر في نفسه وهو في الغربة كل الذكريات ، فتتفجر شحنات الشوق والحنين للقرية ، للوطن ، لكل جمال الطبيعة العراقية - لا بالمعنى الرومانسي للصور الذاتية - بل تتوحد صور التعبير ن المعاناة الذاتية للشاعر مع المعاناة الجماعية للمجتمع أو مع المسحوقين من أفراد المجتمع، ويكون المطر الشاهد على الصور المأساوية التي يرسمها الشاعر ، وهو بعد ذلك الأمل القادم . .
واهب الحياة :

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة ففطرةً تذوب في المطر . . .
وكركر الأطفال في عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودة المطر . . .

مطر . . .

مطر . . .

مطر . . .

* وتبدأ أنشودة المطر بالعزف ؛ أولاً على أوتار المعاناة الذاتية للشاعر :

كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :

بأن أمه – التي أفاق منذ عام

فلم يجدها ، ثم حين لجّ بالسؤال

قالوا له : " بعد غدٍ تعودُ . . . "

لابدّ أن تعودُ

وإن تهامس الرفاقُ أنّها هناكُ

في جانب التلِّ ِ تنامُ نومةَ اللحدِ

تسِفُ من ترابها وتشربُ المطر

* وهو (المطر) بالنسبة للشاعر المغترب كراهية – لا طوعاً – يزيده شعوراً بالغربة والضياع

والوحدة . يقول بودلير : " عندما تنهمر الأمطار وتهطل هطولاً مستمراً بما يماثل قضبان سجن

كبير لا حد له " إنه الحزن الذي يبعثه المطر في ذات الشاعر :

أتعلمين أيّ حزنٍ يبعثُ المطر ؟

وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر ؟

وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع ؟

بلا انتهاء – كالدمِ المراق ، كالجياح

كالحبِّ ، كالأطفالِ ، كالموتى – هو المطر ؟

* لكن المعاناة أكبر من كونها شخصية – وإن كانت هي جزء لا ينفصل عن المعاناة الجماعية –

إذ ليس فقط أم الشاعر (تسف من ترابها وتشرب المطر) ، بل كل المسحوقين في بلده يأتون من واقع مرير ، فهم يفنون العمر كدأ ولا يحصدون سوى الجوع :

كأن صياداً حزيناً بات يجمعُ الشباك

ويلعنُ المياةَ والقدر

وينثرُ الغناء حين يأفلُ القمر

مطر . . .

مطر . . .

* وتكبر الدائرة لتصير عواصف الخليج ومقاوموه بالمجازيف والقلوع في رحلاتهم المضنية بحثاً عن اللؤلؤ يننون منشدين . . مطر . . مطر ، ثم لا يكون مصيرهم سوى الموت أو الجوع :

أصبح بالخليج : " يا خليج

يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار والردى

فيرجعُ الصدى

كأنه النشيج :

يا خليج

يا واهب المحار والردى . . . "

* وفي الحالات الثلاث يكون المطر هو الشاهد على المأساة ، رغم أنه هو الخصب الذي يجب أن يعم

خيرَه الجميع . فحين تعزف الرعود في السماء ، ويومض البرق ، ويهطل المطر المdrار، يستبشر

الناس بالخير ، لكن هذا الخير لا يعم الجميع ، فالغربان تأكل كل الغلال ، والغربان هم المنتفعون

السماسة والإقطاع من ذوي السلطة ، المترفون على حساب الملايين الفقيرة :

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر

وأسمعُ القرى تأنُّ . . .

.

وينثرُ الغلال فيه موسمُ الحصاد

لتشبع الغربان والجراذ
وتطحن الشوان والحجر
رحى تدور في الحقول . . .
حولها بشر

* إن صورة الخير والشر صورة قديمة انطبعت في ذهن الشاعر ، المطر الذي يحمل الخير ويعشب الأرض ، يقابلها جوع الملايين ، صورة اختزنتها ذاكرة الشاعر منذ الطفولة :

ومنذ أن كنا صغاراً ، كانت السماء
تغيم في الشتاء ،
ويهطل المطر ،
وكل عام - حين يعشب الثرى - نجوع
ما مرّ عامٌ والعراقُ ليس فيه جوع

* لكن رغم كل تلك الصور المأساوية الحزينة ينهي الشاعر قصيدته بالأمل في مجيء الثورة ، رامزاً لها بهطول المطر . ولعل بين المطر والثورة ترابطاً وثيقاً، إذ كلاهما يحملان عنصر الخير والحياة :

في كلّ قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكلّ دمة من الجياح والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسامة في انتظار ميسم جديد
أو حلمة توردت على فم الوليد
في عالم الغد الفتى ، واهب الحياة .
ويهطل المطر

